مقياس: نقد النّثر القديم.

السّنة: الثّالثة.

السّداسي: الخامس.

التّخصّص: النّقد والدّراسات الأدبيّة.

الأفواج: 01، 02، 03، 04.

أستاذة التّطبيق: إكرام علّاق.

الدّرس الأوّل: تحليل نصوص البيان والتّبيين للجاحظ.

أوّلا: مفهوم النّثر:

بالعودة إلى المعاجم العربيّة القديمة سنجد مادّة (**نَثَرَ**) تحمل العديد من المعاني، نختار منها الأقرب لمادّتنا المعرفيّة فنجد:

-"**نَثَرَ**: نَثْرا ونِثارا الحبّ واللّوز وغيرهما: رمى به متفرّقا.

-**ونثر** الكلام **ونثر** الولد: أكثره، فهو وهي نَثور.

-**تنثّر** القوم: تفرّقوا.

-**النّثر**: الكلام المقفّى بالإسجاع وهو ضدّ النّظم.

-**النَّثَر**: ما تناثر من الحبّ وغيره.

-**النّثِرُ**: المتساقط الّذي لا يثبت، الكثير الكلام المذياع للأسرار، وهي نَثِرَة.

-**النّثور**: المرأة كثيرة الولد.

-**النِّثار والنّثار والنُّثارة**: فتاة ما تناثر حوالي الخوان من الخبز، كلّ ما يتناثر من الشّيء، أو النُّثارة كلّ ما يتناثر من المائدة"[1].

[1] أحمد رضا، معجم متن اللّغة، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، م5، 1960، ص، ص 396، 397.

ثانيا: مفهوم النّقد:

-"**نَقَدَ**: نقدا وتنقادا الدّراهم ميّز خالصها وأخرج الزّيف منها.

-**نقده** نقدا: أعطاه إيّاها نقدا معجّلا.

-**نقد** الطّائر الحبَّ: لقطه واحدة واحدة.

-**نقد** الشّيء ببصره: اِختلس النّظر نحوه لئلّا يفطن له"[2].

من خلال المادّة المعجميّة المطروحة أمامنا نلحظ اِرتباط مصطلح (النّثر) بالكثير المتفرّق، وهي صفات لو أمعنّا النّظر في النّص النّثري لوجدناها من سماته، فالكلام المنثور متفرّق غير مقيّد بقافية وغيرها، كما أنّه يتّسم بالكثرة، فالكاتب عادة يطنب في الوصف ويثري نصّه بالتّفاصيل، وكذا التّنويع في الأساليب الكتابيّة.

أمّا (النّقد) فيرتبط بتخيّر الشّيء وتمييز الجيّد من الرّديء، وهذه هي بدايات النّقد الأولى عند اِرتباطه بالأدب، فكان فاحصا للخطاب (أو النّص)• ليميّز ما هو جيّد وما هو رديء، ومع تطوّر الزّمن اِكتسب النّقد مناهج وآليّات مكّنته من الغوص في المعنى أكثر، والتّمييز أكثر بين ما يستحقّ أنْ يقال عنه أدب وبين ما سيّء لا يمكن أنْ يكون أدبا.

ثالثا: الجاحظ؛ وكتابه البيان والتّبيين:

يُعتبر الجاحظ شهيد الكتب، وذلك بسبب حادثة موته الشّهيرة، إذْ يُقال أنّه كان جالسا في مكتبته يقرأ كما جرت عادته، لكن شاء القدر أنْ تسقط رفوف مكتبته عليه... هذه الحادثة الّتي خلّدها التّاريخ ما هي إلّا شاهد على أنّه قارئ من الطّراز الأوّل، وقد ترك لنا الجاحظ إرثا أدبيّا متمثّلا في عديد الكتب الّتي تتّسم بالموسوعيّة، فشخص مثله عكف على القراءة والتّأليف لا يمكن أنْ يكون إلّا نابغة من النّوابغ الّذين ذاع صيتهم إلى يومنا هذا.

يقول أحمد أمين: "لست أعلم أحدا في عصر الجاحظ بلغ مبلغه في سعة ثقافته وعمقها، فلقد شملت كلّ معارف زمانه تقريبا على اِختلاف ألوانها وتعدّد منابعها، حتّى ليخيّل إليّ أنّنا لو جمعنا كلّ كتبه

---

[2] أحمد رضا، المرجع نفسه، ص 525.

• للاِستزادة أكثر يمكن البحث والاِطّلاع عن الفرق بين النّص والخطاب.

ورسائله ووزّعنا ما فيها، ورتّبناها على الحروف الأبجديّة، لخرج لنا من ذلك دائرة معارف تمثّل أصدق التّمثيل معارف العصر العبّاسي الأوّل"[3].

وإنّ المطّلع على كتب الجاحظ وعناوينها سيلحظ أنّه جعل من كلّ شيء موضوعا لدراسته ومؤلّفاته: (الحيوان، الطّبيعة، البلاغة، الفصاحة، النّوادر...إلخ)، ولهذا تميّز أسلوبه بالمزج والإستطراد، فكان يورد المعلومة والمثال عنها، ثمّ يأتي بشيء من كلام الأوّلين، أو قصّة، أو نادرة أو طرفة ثمّ ينتقل إلى موضوع آخر ثمّ يعود لنفس الموضوع من جديد، وما على القارئ إلّا تقبّل هذا الأسلوب، وأخذ المعرفة منه بذكاء ومهارة.

أمّا بالنّسبة لكتابه (البيان والتّبيين) فقد ألّفه صاحبه تعصّبا للعرب وفصاحتهم، مدافعا عن البيان العربي، فضمّنه: الألفاظ وفصاحتها، الأفكار والأساليب، اللّفظ والمعنى، الأخبار والنّوادر والطّرائف والشّعر، وكذا شواهد من القرآن الكريم والحديث النّبويّ الشّريف، والخطب والأمثال...إلخ، مستندا في نقده على معارفه الكلاميّة والفلسفيّة والبلاغيّة، كما اِستند على التّرجمة الّتي ظهرت بقوّة في عصره حاملة معها الأدب اليوناني القديم.

رابعا: نص من البيان والتّبيين:

- **النّص الأوّل:** "قال سهل بن هارون: لو أنّ رجلين خطبا أو تحدّثا، أو اِحتجّا أو وصفا، وكان أحدهما جميلا جليلا بهيّا، ولبّاسا نبيلا، وذا حسب شريفا، وكان الآخر قليلا قميئا، وباذّ الهيئة دميما، وخامل الذّكر مجهولا، ثمّ كان كلامهما في مقدار واحد من البلاغة، وفي وزن واحد من الصّواب، لتصدّع عنهما الجمع وعامّتهم، تقضي للقليل الدّميم على النّبيل الجسيم، وللباذّ الهيئة على ذي الهيئة، ولشغلهم التّعجّب منه عن مساواة صاحبه به، ولصار التّعجّب منه سببا للعجب به، ولصار الإكثار في شأنه علّة للإكثار في مدحه، لأنّ النّفوس كانت له أحقر، ومن بيانه أيأس، ومن حسده أبعد، فإذا هجموا منه على ما لم يكونوا يحتسبونه، وظهر منه خلاف ما قدّروه، تضاعف حسن كلامه في صدورهم، وكبر في عيونهم ، لأنّ الشّيء من غير معدنه أغرب، وكلّما كان أغرب كان أبعد في الوهم، وكلّما كان أبعد في الوهم كان أطرف، وكلّما كان أطرف كان أعجب، وكلّما كان أعجب كان أبدع، وإنّما ذلك كنوادر كلام الصّبيان ومُلَح المجانين، فإنّ ضحك السّامعين من ذلك أشدّ، وتعجّبهم به أكثر، والنّاس موكّلون بتعظيم الغريب، وإستطراف البعيد، وليس لهم في الموجود الرّاهن وفيما تحت قدرتهم من الرّأي والهوى، مثل الّذي لهم في الغريب القليل، وفي النّادر الشّاذ، وكلّ ما كان في مِلك غيرهم، وعلى ذلك زَهِدَ الجيران في عالمهم، والأصحاب في الفائدة من صاحبهم،

[3] موقع إلكتروني: aljazeera.net

وعلى هذا السّبيل يستطرفون القادم عليهم، ويرحلون إلى النّازح عنهم، ويتركون من هو أعمّ نفعا وأكثر في وجوه العلم تصرّفا، وأخفّ مؤونة وأكثر فائدة، ولذلك قدّم بعض النّاس الخارجي على العريق، والطّارف على التّليد"[4].

- **النّص الثّاني**: "... وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش، ساكن الجوارح، قليل اللّحظ، متخيّر اللّفظ، لا يكلّم سيّد الأمَة بكلام الأمَة ولا الملوك بكلام السّوقة، ويكون في قواه فضل التّصرّف في كلّ طبقة، ولا يدقّق المعاني كلّ التّدقيق، ولا ينقّح الألفاظ كلّ التّنقيح، ولا يصفّيها كلّ التّصفية، ولا يهذّبها غاية التّهذيب، ولا يفعل ذلك حتّى يصادف حكيما، أو فيلسوفا عليما، ومن قد تعوّد حذف فضول الكلام، وإسقاط مشتركات الألفاظ، وقد نظر في صناعة المنطق على جهة الصّناعة والمبالغة، لا على جهة الإعتراض والتّصفّح، وعلى جهة الإستطراف والتّطرّف "[5].
- **النّص الثّالث**: "... فأمّا الخطب بين السِّماطين، وفي إصلاح ذات البين، فالإكثار في غير خطل، والإطالة في غير إملال، وليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك، كما أنّ خير أبيات الشّعر البيت الّذي إذا سمعت صدره عرفت قافيته، كأنّه يقول: فرّق بين صدر خطبة النّكاح وبين صدر خطبة العيد، وخطبة الصّلح وخطبة التّواهب، حتّى يكون لكلّ فنّ من ذلك صدر يدلّ على عجزه، فإنّه لا خير في كلام لا يدلّ على معناك، ولا يشير إلى مغزاك، وإلى العمود الّذي إليه قصدت، والغرض الّذي إليه نزعت"[6].
- **النّص الرّابع**: "والسّنّة في خطبة النّكاح أن يطيل الخاطب ويقصّر المجيب"[7].
- **النّص الخامس**: "وكانوا يستحسنون أن يكون في الخطب يوم الحفل، وفي الكلام يوم الجمع آي من القرآن، فإنّ ذلك ممّا يورث الكلام البهاء والوقار، والرّقة وسَلسَ الموقع"[8].
- **النّص السّادس**: "وكانوا يمدحون الجهير الصّوت، ويذمّون الضّئيل الصّوت، ولذلك تشادقوا في الكلام، ومدحوا سعة الفم، وذمّوا صغر الفم"[9].

المطلوب: إنطلاقا من النّصوص السّابقة وما تناولناه في الحصّة إستخرج النّوع الأدبي المتحدّث عنه، مع ذكر أهمّ مميّزاته، وكيف نُظر إليه قديما بالمجهر النّقدي.

---

[4] إبن عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتّبيين، تحقيق: عبد السّلام محمّد هارون، ج1، ص، ص 88، 90.

[5] الجاحظ، المرجع نفسه، ص92.

[6] الجاحظ، المرجع نفسه، ص116.

[7] الجاحظ، المرجع نفسه، ص117.

[8] الجاحظ، المرجع نفسه، ص118.

[9] الجاحظ، المرجع نفسه، ص، ص 120، 121.